# الاتحاد الوطني للقوات الشعبية

الكتابة العامة

الدراسات السياسية

1

# النظرية الجدلية والتفسير المادى للتاريخ

فبراير 1967

# الدراسات السياسية لخلايا الشباب

الحلقة الاولى

# (1) النظرية الجدلية والتفسير المادى للتاريخ

دراسة خاصة بالتثقيف السياسى لخلايا الشباب ، وعلى كل منتظمة من الشباب أن تسلك فى دراستها المنهج التالى :

1) يقرأها أعضاء الخلية بشكل انفرادى قبل موعد الاجتماع .

2) اثناء الاجتماع الدورى يقوم اعضاء الخلية بتقديم عرض عام عن الدراسة وعن عناصرها الفكرية فى البداية كمدخل للمناقشة .

3) يناقش جميع الاعضاء موضع الدراسة فيما بينهم حتى تتضح بكامل عناصرها وافكارها .

# التفكير العلمى ضرورة حياتية

ان تغيير واقع ما ، سواء فى الطبيعة او فى المجتمع ، يتطلب اولا معرفة هذا الواقع ، والاحاطة بظروفه وملابساته من جميع الجوانب . ومن هذه المعرفة بالذات ينبع الوعى لدى الانسان ومتى استند هذا الوعى الى قواعد علمية ، وأسس موضوعية ، كان حيا خلاقا يصنع لنفسه المعانى العامة والمفاهيم الاساسية فى صراع الافكار ، وصراع الافكار كان — ولا يزال — هو المظهر الفلسفى لصراع الطبقات فى المجتمع .

واذا كانت الفلسفة هى النظرة الفكرية العامة التى نفسر بها احداث العالم ونفهم وقائعه . والتى تمدنا فى النهاية بقواعد العمل والسلوك ، وتحدد الاطار الفكرى والاخلاقى للعلاقات العامة بين الناس . فان معرفتنا وفهمنا لمبادىء الفكر العلمى هى التى تقودنا الى رؤية العالم والاحداث والوقائع فى الطبيعة أو فى المجتمع الانسانى رؤية صحيحة ، وتفتح ادراكنا لمعالم صراعاته واحداثه وتضع بين ايدينا مقاييس علمية للعمل ، ومفاهيم وخططا واضحة للنضال ، تستند الى المصالح العميقة لجماهير الشعب المحرومة ؟

الفلسفة العلمية . والتفكير العلمى اذن ، ليس مجرد ترف زائد . او مجرد لذة سطحية للعقل المخنث . وانما هو ضرورة حياتية ، لان التفكير العلمى الواضح هو وحده الذى يمدنا بميزان عقلى عملى يضبط سلوكنا وعملنا ، ويسبك نضالنا التحررى فى اطار واجب طبقى لا مناص منه .



# فلسفتان تتصارعان فى كل مجتمع

ولان الصراع الذى يدور بين طبقتى المستغلين داخل المجتمع الواحد تنعكس آثاره على جميع المستويات النظرية والعلمية فان هناك ولابد تبعا لذلك ، وفى نهاية الامر ، نوعين اثنين من الفلسفة هما اللتان تجسمان فى نفس الوقت الفروق الحادة بين التقدمية والرجعية فى عالم اليوم .

## فلسفة ثورية :

وتقوم على النظرة العلمية والواقعية للاشياء والاحداث ، وتكشف من خلالها قوانين التغير والتنافس فى كل شىء وتؤمن بالضرورة الدائمة لكل شىء نحو التغيير ، وتقدر قدرة الانسان عليه ، وهى الفلسفة العلمية المادية التى تسود العالم المتقدم اليوم .

## وفلسفة رجعية :

تتبناها الفئات الرجعية البورجوازية المستغلة ، تريد عن طريقها الاحتفاظ بأوضاعها الاستغلالية كما هى لتعرقل التغير أو تؤخره ، وتمنع ارادته ، وتعوق وعى الجماهير بحقيقتها وتعبئتها فى سبيل هذا التغيير ، وهى الفلسفة المثالية «الميتافيزيقية»

« الوضعية » وتهدف فى نهايتها الى زرع افكار الانهزامية واليأس والاستسلام بين الجماهير — «القدر — قسمة العيش الواقع — ضعف الفرد — عجز وسائله الخ » .

وفى بلادنا اليوم ، وبالذات ، تتصارع فلسفتان متناقضتان تتقمص احداهما الفئات المستغلة ، وعلى رأسها الحكم ، تدعو الجماهير الى الرضى والخضوع ، والتسليم بحكم القدر ، وتعمل لتلفيف احساسها فى ضباب من الاضاليل والخرافات الميتافيزيقية تنويما لوعيها ، وتجميدا لنضالها وتتقمص الثانية طليعة ثورية من المناضلين تعى الحقائق العلمية من حولها وتدعو الجماهير الى الانتفاضة والنضال ضد الاستغلال والاستعباد . وتقر فى كل من الفلسفتين فى المجتمع ، وفى العلاقات بين فئاته المتناقضة بمفاهيم وتقاليد ، وقواعد فى العمل والسلوك .



# الفلسفة الثورية ... هى فلسفة الجماهير الكادحة

وهذه الجماهير المغربية المحرومة التى هى باستمرار نهب لاضاليل تدميغية تبثها الفئة الاقطاعية المستغلة بقصد المحافظة على امتيازاتها ومصالحها ، وتنويم هذه الجماهير عن الوعى بالظلم الاقتصادى الواقع عليها . لا يمكن أن يوقظ احساسها ، ويفجر ثوريتها الا الفلسفة الثورية التى تقوم على التحليل العلمى للوقائع والاشياء ، وعلى ديناميكية علاقاتها وتناقضاتها وعلى توضيح وتفجير تناقضاتها وامكانياتها الذاتية .

انها اذن .. المنهج الجدلى « الديالكتيكى » الذى يكون مع التفسير المادى للتاريخ أساس الفكر الثورى للجماهير البروليتارية الكادحة ، ومنطلق الاشتراكية العلمية التى هى الحل الوحيد لمشكلة الجماهير ، وتحررها من السيطرة والاستغلال .

علينا اذن أن نوضح الاسس العلمية للمنهج الجدلى الذى لا يمكن لنضال الجماهير التحررى أن يكسب الظفر والانتصار على الاقطاعية والبورجوازية الا على اساسه ، والذى يجب أن يكون على الدوام نبراس المناضلين فى تحليلهم للاشياء ، وقاعدتهم من تفسير الوقائع والاحداث ، ونصرتهم العامة للطبيعة وللمجتمع وللتاريخ .

# الجدلية ضابط علمي عام للطبيعة وحركة المجتمع الانساني

ولقد ادى ازدهار العلوم الطبيعية خلال القرن الثامن عشر، واوائل القرن التاسع عشر الى الكشف عن الطابع الجدلي للطبيعة والمجتمع وثبت انهما مما فى تحول دائم حسب قوانين ضرورية محددة ، وان هذا التحول انما يتم نتيجة لنضال مستمر بين متناقضات واضواء تحتويها الطبيعة بجميع اجزائها ، والمجتمع بجميع فئاته ، وتأكد اخيرا ان الانسان والمجتمع ليسا سوى صورة او حلقة واحدة من هذه الصيرورة التى لا يفتأ العالم يسير اليها فى تغير دائم ، وتطور ابدى محتوم .

وهنا اعطت ثلاث اكتشافات بالخصوص التأكيد الحاسم عن الطابع الجدلى لحركة الطبيعة والمجتمع وهى :

1 ـ اكتشاف الخلية الحية التى تتطور عنها الاجسام المختلفة .

2 ـ اكتشاف تحول الطاقة من حرارة وكهرباء ومغناطيس وطاقة كيمائية ... الخ .

3 ـ اكتشاف مبدأ التطور عند « داروين » الذى اثبت ان جميع الكائنات الحية انما هى ثمرة التصور الطبيعى .



وكذلك الشأن فى الانسان والمجتمع . فهما ثمرة تطور مستمر ونتيجة تغير دائم الى الامام .

.. هذه الاكتشافات العلمية الثلاث بالخصوص ادت الى تحقيق انقلاب خطير فى فهم حقائق الطبيعة ، والحياة ، ورفعت الحجاب عن القوانين العامة التى تحكم الطبيعة والانسان ومجتمعه، والتى تظهر بمقتضاها انها فى صيرورة دائمة لا تكف عن توليد الجديد . وانكشف تبعا لذلك طابعها الجدلى الذى انتهى الى فهم الحقيقة الجدلية فى سير وتطور الطبيعة والانسان ، والى الاستغناء عن المنهج الميتافيزيقى الذى يصور العالم والحياة على انها مخلوقات جامدة لا تتحرك الا بقوة خارجية ، ولا تكون وحدة فى نموها وتطورها ، وحل المنهج الجدلى مكانه فى فلسفة الاشياء وفهمها .

لقد أصبحت الجدلية او « الديالكتيك » هى المنهج العلمى الذى يسود الحياة الانسانية ، وتحرر الانسان بمقتضاها من كثير من الاضاليل العقلية التى كانت تلفف ادراك الجماهير المستضعفة والمستغلة فى كل مكان فى ضبابات دكناء من عجز الفكر وشلل الوعى وقصور الاحساس ، وأصبح منطقها العلمى الجدلى يحرك ثلثى سكان الارض من العالم الثالث .

الجدلية اذن مجموعة قوانين تحكم الطبيعة والحياة منذ الازل ، علينا أن ندرسها ونتعرف اليها ، لنتمكن باستمرار ان نسير فى حياتنا ونضالنا ضد الطغيان والاستغلال على اسس موضوعية فى فهمنا للحقائق والاوضاع من حولنا .

القوانين او الميزات العامة التى تقوم عليها الجدلية اربعة هى كالتالى :

# المنهج الجدلى فى أربعة قوانين عامة

## ـ القانون الاول

### الترابط العضوى بين الاشياء

فى الطبيعة كما فى المجتمع ، ترتبط جميع الاشياء ، وجميع الظواهر ببعضها بعضا ، وتؤثر وتتأثر فى تفاعل عضوى مكيف ، ولا يمكن فهم أية ظاهرة او واقعة فيهما فهما جدليا ، الا عند تحليلها ودراستها فى اطار ارتباطها العضوى بظروفها المحيطة بها ، وبملابساتها الملتصقة بها ، وان الرجعى الميتافيزيقى وحده هو الذى ينظر الى الاشياء والوقائع مفصولا بعضها عن بعض ، فيدعى أن فقر الفقراء واقع منفصل ، عن غنى الاغنياء والاقطاعيين ، وان ليس أولهما مجرد اثر ونتيجة للثانى ، وان لا صلة بينهما ، وهو فهم خاطىء مضلل ، يقصد تدميغ الفقراء وتضليلهم عن مصدر فقرهم .

مثل آخر من مجتمعنا : حينما يعمل مناضل اتحادي لنشر الوعى السياسى فى المجتمع ، يأتى الرجعى فيزعم له انه انما يقوم



بعمل ضائع لا قيمة له ولا أثر ، لانه مجرد فرد بسيط ، ولا يمكن ان يغير شيئا من سيطرة الرجعية ، وقوة الاقطاع ، هذه نظرة رجعية تنظر لهذا العمل الفردى مفصولا عن ظروفه وملابساته المحيطة به ولكن الجدلى ينظر الى العمل الفردى للمناضل بمنظار من الشمول والترابط بينه وبين جميع ظروفه وملابساته المحيطة والمتفاعلة به ، فهناك من جهة أن عمله ، ولو أنه فردى بسيط فى حد ذاته ، ليس الا جزءا من أعمال فردية اخرى كثيرة وكبيرة موازية ، يقوم بها ، وفى نفس الوقت مئات أو آلاف مماثلة من المناضلين الآخرين من نفس الاتجاه والفكرة ، وضد نفس القوى الاقطاعية ، ومن جهة ثانية فنضال هذا الفرد وعمله اليومى هو جزء أيضا من نضال واسع تلتقى عنده كثير من الشعوب والمنظمات عبر العالم ، وضمن تيار تحررى يحرك الدنيا بأكملها ، أما نظرة البورجوازية المستغلة فتريد حصر نظرة الفرد وفصل وعيه وادراكه ، عملا وسلوكا عن ظروفه المحدقة به ، تجميدا لنشاطه ، وتضليلا لادراكه .

الجدلية اذن تقوم فى قانونها الاول على **وجوب اعتبار الترابط العضوى الذى يجمع بين الظاهرة الطبيعية أو الواقعة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية ، وبين جميع ظروفها وملابساتها الزمانية والمكانية المحيطة بها** ، والتحليل أو الفهم العلمى للاحداث والوقائع هو الذى يرتكز على هذا الاعتبار ، وتجزئة الوقائع وفصلها عن ظروفها وملابساتها العامة ، وعن شروطها الموضوعية التى تدور فيها ، ليسا الا فلسفة للحد من **شمولية النظرة العلمية ، وتضبيب الادراك الشامل للاشياء ، وتضليل الفهم من وعيها وعيا موضوعيا ، وذلك لا يمكن أن يكون الا لصالح الفئة المستغلة فى المجتمع .**

# ـ القانون الثانى

## حركة دائمة وتغير مطرد للاشياء

واذا كان قانون الترابط العام يسود جميع الاشياء فان المجتمعات الانسانية والطبيعية فى حركة دائمة ، وليسا فى حالة من الركود والهدوء ، ومن ثم فان القانون الثانى للجدلية ينظر للمجتمع والطبيعة على انهما فى حالة من الحركة والتغير الدائمين ، ومن التجدد والنمو المستمرين ، حيث انه فى كل لحظة يتجدد وينمو ويتطور شىء ، بينما يحل شىء آخر ويزول .

الحركة والتغير اذن موجودان باستمرار فى الطبيعة وفى المجتمع ، سواء كانت فيزيائية ، او حيوية فى الفضاء ، وفى اهتزاز الجسيمات فى صورة حرارة او تيار كهربائى او مغناطيسى ؛ وفى الحياة العضوية للاحياء « النبات ـ الحيوان ـ الانسان » وقد ظلت جميعها منذ الازل فى حركة من التحولات والتطورات المستمرة .

وليس فى المجتمع الانسانى لذلك شىء ابدى ، او افكار ، او مبادىء ، او انظمة خالدة ، ففى المغرب مثلا : ـ كان هناك نظام اقطاعى زراعى منغلق وانتصبت الحماية الفرنسية نتيجة له ،



قامت تحولات فى المجتمع المغربى وساد نظام استعمارى اقطاعى ، ثم انتزعت الحماية وجاء الاستقلال الذى فتح المجال لنظام جديد نصف اقطاعى ، ونصف استعمارى . والمجتمع الآن يعيش مرحلة مخاض عظيم وعميق تحمل فى كيانها بذور واسس التحول نحو الثورة الوطنية والمجتمع الاشتراكى .

وهكذا فان زوال القديم وظهور الجديد باستمرار قانون عام يسود المجتمعات الانسانية والطبيعية سواء ، يكفل لهما بصفة حتمية دوام النمو والتطور ، فكل قديم لابد يحمل فى طياته بذور الجديد ، ولا ينفك التلاشى والزوال يحل محله الجدة والحياة .

ومهمة المناضلين التقدميين ان يعوا هذا القانون العظيم ، ويتخذونه نبراسا يهتدون به فى نظرتهم وتحليلهم للاشياء فيكتشفوا فى مجتمعهم بذور التحول ويتعرفوا الى العوامل الاصيلة للحركة وارادة التغير فى هذا المجتمع ، فيعملوا على تنمية هذه البذرة ، وعلى استعجال التحول ، ودوافع التطور الخلاق ، وتفجير العوامل الكامنة فى المجتمع للبناء الجديد .

# ـ القانون الثـــالث

## الانتقال من التحولات الجزئية

## الى التحولات الكلية الكبرى

ان التغير كما سبق صفة للطبيعة وللانسان وللمجتمعات ، الا ان هنـــاك ظاهرة اخرى تتعلق بهذا التغيير تكون القانون الثالث الجدليـــة ، وهـــى : **ان التغيرات التى تتـــم فى الطبيعة أو المجتمع تتم على مرحلتيـــن :**

أ ـــ تغيـــرات جزئية بسيطة **تتم تدريجيا وعلى مدى طويل قد لا يشعر بها الانسان ، ولا تراها العيـــن** ، وتسمـــى « **تحـــولات كميـــة** » .

ب ـــ وتغيـــرات كبرى قد تتم احيانا بشكل مفاجىء ، وتأتى ناضجة ، نتيجة للتغيـــرات الجزئيـــة التي تكون التحولات الكميـــة قد انضجتها على المدى الطويـــل ، وتسمى هذه « تحولات كيفية » .

### أمثلـــة مـــن الطبيعـــة :

1 ـــ النبتة الصغيرة لا تتحول وتصير شجرة قوية « تحـــول



كيفى » الا بعد ان سبقت تحولات جزئية بسيطة تمت فى كيان النبتة على مدة طويلة ، ايام ، او شهور ، أو سنوات ، كان يتم خلالهـــا كل يوم عملية تحويل جزئـــى لصالح نمـــو الشجرة وبشكل بطيىء لا يـــرى وهو « تحـــولات كميـــة » .

2 ـــ الزهـــرة لا تتفتح الا بعـــد عمليات نضج تستمر وقتـــا طويلا وببطء كبيـــر ، **دون رؤيته أو شعور بيـــه** .

3 ـــ ضوء الشمس ينتشر فى مكان **أو ينسحب منه فى حركة** بطيئة « تحول كمى » ولكن فى النهاية تعم الظلمة او الظل المكان ، أو يعمد النـــور « تحول كيفـــى » .

### أمثلـــة مـــن المجتمـــع :

1) الثورة الفرنسية الكبرى لم تتم بشكلها العظيم « تحول كيفى » الا بعد ركام من الجهود الجزئية قام بها كثير من المتحررين والمفكرين عشـــرات السنين ، وهى « التحولات الكمية » ولكنهـــا مع ضعفها فى البداية اثمرت فى النهاية وانضجت فى ســـنـــة 1789 تحولها الكيفى الجبـــار « الثورة العارمة » .

2) الثورة المغربية 1953 ، انضجتهـــا جهـــود التوعيـــة السياسية استمرت عددا طويلا من السنين ، ولكنهـــا انفجرت فى تحـــول كيفـــى ســـنـــة 1953 . (المقاومة وجيش التحرير 1953 ـــ 1956) .

3) ان الجهود الجزئية التى يقوم بها المناضلون الاتحاديـــون يوميـــا فى نشر الوعى وتفتيح اذهان الجماهيـــر ، لهى بالضبـــط الاعمال البسيطة التى قد تبدو بسيطـــة بالفعل ، ولكنهـــا هـــى

وهي وحدها تحقق التحولات الكمية البطيئة التى تختمر الان . ولا بد بطريقة حتمية وعلمية تؤدى الى تحول كيفى عارم يعصف بالاوضاع الفاسدة الحالية ، سيأتى بشكل قد يفجأ الرجعى أو البيطحى التفكير .

اذن .. يتجلى القانون الثالث للجدلية فى أن **التحولات أو التغيرات الكبرى فى المجتمع ، مثل الطبيعة ، لا تتم بشكل معجزة مفاجئة ، أو بمجرد صدفة اعتباطية ، وانما تختمر اختماراً بطيئاً عن طريق تغيرات جزئية بسيطة تتم ببطء وعلى فترة طويلة ، قد لا تلفت النظر ولا الاحساس ، وهى التحولات الكمية ، ولكنها تنتهى عند نضجها واكتمال نموها الى تحول اعلى واكبر واوسع مدى هو « التحول الكيفى » الذى يتم به التغير الكامل والشامل فى اوضاع الطبيعة أو المجتمع .**



# - القانون الرابع

## نضال التناقضات

كل شىء ، كما سبق فى تحرك وتغير دائمين . والقانون الرابع للجدلية يفسر اسباب ودوافع هذا التحرك والتغير وديمومتهما ، ومحتوى هذا القانون هو **أن اشياء الطبيعة والمجتمع وظواهرهما تحتوى على تناقضات داخلية تأتى من عناصر ذاتية فيها** بعضها سلبى ، وبعضها ايجابى ، ولا تنفك فى نضال بعضها ضد البعض الآخر ، ومن ثم فهناك فى كل شىء دائما عناصر تزول واخرى تنمو ، وان النضال الابدى بين هذه العناصر المتضادة ، بين القديم والحديث ، بين ما يموت وما يولد ، بين ما يزول وما ينمو ويتطور ، هو المظهر الجدلى لهذه التناقضات ومحتواها فى عملية التطور العام للحياة وللانسان .

وتمتاز هذه المتناقضات ونضالاتها المستمرة بثلاث ميزات وهى :

**أولا :** انها داخلية . اى داخلة فى جوهر الاشياء ، وكامنة فى كيانها والتناقضات والاضداد الكامنة فى الظواهر والاشياء هى الاسباب الرئيسية لنموها .

فالماء مثلا يتصارع فى كيانه ، تناقض بين قوى الانسجام بين جزئياته الصغيرة وبين قوى تفريقها ويجرى صراع كامن بين القوتين فى جوهر الماء ، وحينما تتغلب قوى الانسجام يتجمد الماء ، ويصير غازا وبخارا اذا تغلبت قوى التفريق بين جزئيات الماء ، « طبعا بفعل ظروف خارجية : حرارة ــ برودة .. الخ » .

**ثانيا** : تجدد هذا التناقض واستمراره وعدم توقف نضال العناصر المتناقضة والمتضادة بموجبه فى حال من الاحوال .

**ثالثا** : ترابط الاضداد المتناقضة ووحدتها بشكل موضوعى ، فلا موت بدون حياة ، ولا حياة بدون موت ، ولا انخفاض بدون علو ، كما لا علو بدون انخفاض ، ولا بورجوازية بدون بروليتاريا كالعكس ، **وتتحول هذه الاضداد بفعل النضال وتحت تاثيره .**

وفى المجتمع ، يقوم تعارض بين طبقات اجتماعية : ــ فى المجتمع الراسمالى مثلا بين البورجوازية والبروليتاريا ، ــ ولا يزال هذا التعارض ينمو ويزداد بين الطبقات ومصالحها المتعارضة: **« حتى اذا بلغ درجة معينة ، صار تناقضا ظاهرا لا يلبث أن يتحول الى ثورة » .**

وبالقضاء على البورجوازية يزول التناقض من المجتمع الراسمالى ، ولكن نوعا من التعارضات تستمر فى المجتمع الاشتراكى الجديد ، بين طبقة العمال وطبقة الفلاحين ، بين القرية والمدينة ، بين العمل اليدوى والعمل الفكرى :

**« ليس التناقض والتعارض شيئا واحدا اذ يزول الاول ، بينما يستمر الثانى فى النظام الاشتراكى » .**



# تناقضات المجتمع أما رئيسية أو ثانوية

ان كل عملية فى الطبيعة أو المجتمع هى محل لسلسلة من التناقضات ، ومن بينها نوعان من التناقضات :

— تناقض رئيسى .

— وتناقض ثانوى .

التناقض الرئيسى : **هو الذى يوجد فى العملية وفى كيانها منذ بدايتها حتى نهايتها ، ووجود هذا التناقض وتطوره هو الذى يحدد سير العملية وطبيعة تطورها .**

أما التناقض الثانوى : فهو **الذى يأتى بعد التناقض الرئيسى وعلى هامشه ، ويأخذ مظاهر ثانوية بالتبعية للرئيسى .**

مثلا : التناقض الرئيسى فى المجتمع الراسمالى هو الذى بين البورجوازية والبروليتاريا ، وبين مصالحهما ، وهذا التناقض هو الذى يقرر فى النهاية مصير الراسمالية تبعا لتطور ونمو هذا التناقض ونضجه .

أما التناقضات الاخرى فهى ثانوية فى هذا المجتمع ، مثل التناقض بين البوجوازية وبقايا الاقطاعية ، أو بين الفلاحين والبورجوازية أو بين البورجوازية والبورجوازية الصغرى ، وكذلك التناقضات بين البلدان الراسمالية « فرنسا ــ أمريكا » مثلا (*)

وقد تزداد اهمية تناقض ثانوى فى أحوال خاصة ، وفى ظروف معينة ، فيصبح لفترة مؤقتة تناقضا رئيسيا ، **بينما يصبح التناقض الرئيسى الاول ثانويا .**

ولذلك فان التناقضات بنفسها تتغير وتتحول صفاتها تبعا لظروفها وللاهمية التى تكتسيها ، مثلا : التناقض بين البورجوازية والبروليتاريا فى البلاد المستعمرة يصير ثانويا لمدة معينة رغما عن أهميته ، لان التناقض بين المستعمر وبين المجتمع المستعمر أصبح رئيسيا ـ **وكذلك التناقضات بين البورجوازيات الغربية الرأسمالية مع بعضها البعض ، التى قد يصبح التنافس بينها على الاسواق العالمية أقوى من التناقضات بين المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى .**

## مثال من المجتمع المغربى

فى ابان الاستعمار الفرنسى ، كان يوجد فى المجتمع المغربى جماهير كادحة محرومة مظلومة من عمال وفلاحين وغيرهم ، وعلى رأسها طبقة من الاقطاعيين والبورجوازيين عملاء الاستعمار كان بين هاتين الطبقتين تنافس رئيسى فى أصله واساسه ، ولكن ظروف الاستعمار ، جعلت هذا التناقض ثانويا ، بينما صار التناقض الرئيسى الاول هو الذى بين الامة المغربية بمجموعها « عمال وفلاحين ، صغار التجار ، اقطاعيين ، بورجوازيين » من جهة ، وبين الاستعمار من جهة أخرى .

ولكنه فى سنة 1956 ، انحل التناقض الرئيسى الاول باعلان الاستقلال ، واخذت التناقضات الحقيقية والرئيسية داخل المجتمع المغربى تبرز وتتبلور شيئا فشيئا مع سنوات الاستقلال ، وتحت



ظروف الاستقلال وبتأثير من سيطرة الاقطاعية والبورجوازية الناشئة على السلطة السياسية وحلولهما محل الاستعمار فى كثير من المصالح الاقتصادية خلال السنوات العشر من الاستقلال رجع التناقض الرئيسى الذى كان ثانويا على عهد الحماية ، واحتل الآن مكانته الرئيسية الاولى فى الصراع الطبقى للمجتمع المغربى الذى تبرز التناقضات الاقتصادية الصارخة ، والفوارق المعاشية الحادة بين طبقة الاقطاعيين والبورجوازيين ، وعلى رأسهم الحكم الذى يمارس باسمهم السلطات العمومية ويحمى مصالحهم الاقتصادية الكبرى من جهة ، وبين الجماهير الكادحة التى ينزل على ظهرها ثقل الاستغلال وكل ما تتمرغ فيه الاقطاعية والبورجوازية المحليتان من بذخ وسبق وفجور من جهة اخرى .

# من اجل فكر علمى مستنير ودماغ متحرر مفتوح !

## خلاصة :

واجمالا .. فان الجدلية او المنهج الجدلى كخلاصة للتطور الجبار الذى لحق العلم والفكر ، اصبحت هى الاسلوب الفكرى والميزان العلمى الذى يسود الحياة الانسانية المناضلة فى عالم اليوم ، ويطبعها بطابع التقدمية الخلاقة ، وحررها ويحررها من كل المقاييس البالية فى فهم الطبيعة والانسان والحياة ، واعطاها ويعطيها اسسا موضوعية ومناهج واقعية فى العمل والسلوك ، وكشف ويكشف امامها باستمرار عن طبيعة النضالية الحية التى هى وحدها القوة الدافعة من تطور وتحرر الانسان .

وبحكم الاستقراء العلمى للاشياء والظواهر الطبيعية والانسانية ، اتضح ان الجدلية كمنهج للتفكير وللعمل وللدراسة والتحليل والاستنتاج تقوم على أربعة قوانين هى :

1 ــ الترابط العضوى بين الاشياء والوقائع والاحداث .

2 ــ الاشياء والظواهر الطبيعية والاجتماعية كلها فى حركة دائمة وتطور مطرد .



3 ــ التحولات الكبرى والتغيرات العظمى فى الطبيعة والمجتمع لا تتم الا بعد ان تسبقها فى مدى طويل تحولات جزئية ، وتغيرات بطيئة تختمر بها التحولات الكبرى التى قد تتم بشكل مفاجىء فى الظاهر .

4 ــ كل شىء يحتوى على متناقضات داخلية لا تنفك فى صراع مع بعضها البعض ، فى الطبيعة أو المجتمع ، وهى داخلية ذاتية ، متوحدة وفى تجدد مستمر ومنها ما هو رئيسى وما هو ثانوى ، وقد تتحول صفاتها هذه .

## سبيلنا فى النضال :

هذه هى الجدلية او المقياس العلمى الذى يجب أن يسود تفكيرنا ونظرتنا للاشياء ، وتحليلنا للوقائع والاحداث فى مجتمعنا ، وبه نتمكن من أن نفهم فهما علميا طبيعة النضال التحررى الذى نخوضه معا ، ونضع المعركة التى تخوضها حركتنا ضد الاقطاعية والبورجوازية والاستعمار فى اطارها من صراع المتناقضات الاقتصادية الكبرى التى تفصل هذه كلها عن جماهيرنا الكادحة من عمال وفقراء الفلاحين ، وصغار التجار ، والمحترفين .

وعلى ضوء الجدلية ، وبها يتمكن ايضا المناضلون الاتحاديون عموما من أن يبنوا حياتهم وسلوكهم ودراساتهم ومقاييسهم الفكرية على اساس علمى واقعى حى ، ويكسبوا لحياتهم فلسفة ثورية تقدمية تقوم على العلم والواقع ، وتتحرر من الاضاليل الرجعية ، والاوهام الميتافيزيقية ، وتواجه الحياة ونضالها بروح رياضية وفكر علمى مستنير ، ودماغ متحرر مفتوح .

# (2) التفسير المادى للتاريخ

## المفهوم السائد للمادية :

ليست « المادية » فى مفهومها العلمى الاستسلام للرغبات الجامحة فى ارضاء المتع الشخصية والاهواء النفسية واطلاق العنان فى اتباع اللذائذ والاغراض الخاصة — وانما معنى «المادية» الحقيقى ومفهومها العلمى السليم هو أن «المادية» نظرة عامة الى العالم كله بما فيه الطبيعة الجامدة والحية والانسان ، انها استقامة العمل والسلوك ، والاخلاق الفاضلة ، والنزاهة ، وشرف الضمير ، فهى المثل العليا للانسان ولقيمه الحقيقية دون نقاش ، وفهم ذلك كله وادراكه استنادا الى مبادىء علمية محددة منتزعة من خلاصة الفكر العلمى ، ومن الحقائق الموضوعية المكتشفة فى جوهر هذا العالم ،



# بين المادية والمثالية فى فهم العالم واصدائه

واذا كان من الواضح أن هناك فى هذا العالم بمجموعه **اشياء مادية** يمكن رؤيتها ولمسها وقياسها ، واشياء روحية لا يمكن رؤيتها ولا لمسها ولا قياسها ، مثل العواطف والافكار والذكريات والرغبات (اى ان الموجودات اما مادية واما فكرية) — فان السؤال الفلسفى الذى يطرحه النوعان معا ، ويتطلب الجواب والاختيار بالنسبة لكل شخص ، هو : «اى من المادة والفكر يفسر الآخر ؟ ايهما الاصل والآخر الفرع ؟ ايهما اساسى أكثر من الآخر ؟

واعتبار المادة كاساس وكأصل يعنى الفلسفة المادية واعتبار الفكر بالعكس هو اساس الفلسفة المثالية .

### أمثلة حية من الفلسفتين :

1) يصاب طفل بمرض فى أمعائه ، فتلجأ أمه الى تعاونية وتعزيمات وبخور السحرة ، والى تزويره بعض الاضرحة باعتبار ان الفكر والروح هو الاساس وهو المؤثر فى المادة ، فتكون النتيجة ان يزداد المرض ويموت الطفل او يعتل طول حياته .

« **وهذه فلسفة مثالية** » — واما أن تلجأ أمه الى طبيب مختص فيجرى عليه فحصا علميا ويكتشف الداء ، أو نوعه ومصدره ، فيصف الدواء ويعين نظام الاكل ، فيشفى الطفل ، « **وهذه**

2) الصاعقة ، يمكن تجنبها باحدى طريقتين ، اما باستخدام القضيب المضاد لها ، واما باشعال شمعة واطلاق البخور ورفع الدعاء للسماء — الاولى فلسفة مادية مبنية على الاعتقاد بان الصاعقة ظاهرة مادية لها اسبابها المادية ، ويمكن اتقاؤها بالوسائل التى تمدنا بها المعرفة العلمية ، « الصاعقة شحنة أو شرارة كهربائية يمكن قيادتها بقضيب نحاسى وابعادها عن المنزل الى حفرة خاصة » ، واما الثانية ففلسفة مثالية مبنية على الاعتقاد بأن الصاعقة ظاهرة من غضب الله تأتى بأسباب خارقة ولا يمكن اتقاؤها الا بوسائل سحرية كالشمعة والبخور والتأثير الروحانى .

3) فى المجتمع تستعمل الاقطاعية والبورجوازية المستغلة اسم الدين فى بلادنا لتجر الجماهير الى التسليم بواقعها الاقتصادى البئيس والاعتقاد بان بؤسها هو قضاء وقدر من الله كما ان غنى وبدخ الاقطاعية كذلك ، وذلك بقصد تنويم وعيها وايهامها ان بؤس البؤساء ليس من استغلال الاقطاعية والبورجوازية متذرعين بتفسيرات سحرية للآيات القرآنية مثل قوله تعالى « نحن قسمنا بينهم معيشتهم » **وهذه فلسفة مثالية لصالح الاقطاعية .**

أما النظرة العلمية ، فترى أن سبب بؤس الفلاحين والعمال وصغار التجار والمحترفين ، ، انما هو تسلط الاقطاعيين والبورجوازيين على خيرات البلاد وارزاق العباد ، واستغلالهم لثروات بلادنا لصالحهم الخاص ، وليس السبب هو مجرد قدر



وهى خارج عن هذا الاستغلال والتسلط ، وهذه فلسفة مادية وتفسير مادى لاوضاع المجتمع .

الفلسفة الاولى تدعو الى الاستسلام وانتظار الدعوات ، وتأثير قدرة غيبية خفية لتغيير الاوضاع البئيسة للفقراء ، أما الفلسفة الثانية فتدعو الى العمل على توعية الجماهير بهذه الحقيقية ثم تجنيدها للنضال المشترك للتحرر من هذا الظلم والاستغلال عن طريق هذا النضال الذى هو فى نفس الوقت قضاء وقدر .

# العلم يكشف عن قوانين تطور الطبيعة والحياة والمجتمعات

وخلال الازمنة القديمة كلها كانت تسود النزعة المثالية التى ترى أن الطبيعة جامدة ، وانها لا تتحرك الا بقوى روحية خارجية يجب الرجوع اليها بوسائل السحر والشعوذة والتأثيرات الروحية لتوجيه حركتها وتأثيرها فى العالم .

وجاءت النهضة العلمية فساهمت الاكتشافات العلمية عن الطبيعة كما ساهم بالخصوص أمثال «كانت» الالمانى و «لابلاس» الفرنسى و « ليل » و « داروين » و « نيوتن » الانجليزيون وغيرهم كثيرون فى قوانين حركة الطبيعة ونموها ، وعن تطور الانواع الحية ، فاكتملت بذلك نظرية التطور العامة التى اكتسحت المثالية نفسها .

وجاء ماركس وانجلز ، فامتدا بهذه النظرة الى العلوم الاجتماعية فكشفا ايضا عن الظواهر العامة لحركة المجتمعات الانسانية وقوانين تطورها فاستوت النظرية المادية للطبيعة وللمجتمع الانساني على رجليها ، واكتملت عناصرها ، واصبح التفسير التاريخى لهما تفسيرا ماديا يقوم على المادة وحركتها وعلى القوانين العلمية المكتشفة لتطورها .



# الاصول العامة لتفسير العالم أو التاريخ

ويقوم التفسير المادى للطبيعة والكون والحياة من ثم على ثلاثة أصول أو قواعد انتهى اليها الفكر العلمى المعاصر .

**أولا :** ان جميع مظاهر الكون والحياة انما هى جوانب مختلفة للمادة فى حركتها ، وأن هذه المادة تتحرك وتنمو باستمرار وان أعلى صورة لحركة المادة ، ونموها هو الحياة والفكر والوعى ، وان تغير وتخالف المظاهر ومحتويات صور المادة انما يأتى تبعا لظروف المادة وبيئتها وعناصرها وبناء على ذلك فليست هذه المادة فى مختلف مظاهرها فى حاجة لاى روح شاملة أو قوة خارجة عنها تحركها أو تؤثر فى نموها وتطورها وكما سبق ، فان المنهج الجدلى هو القوانين التى تضبط هذه الحركة .

**ثانيا :** ان المادة ومظاهرها هى المصدر الاساسى لجميع أحاسيس الانسان وتصوراته ، وبالتالى لوعيه وأفكاره ، ومن ثم فان الوعى هو مجرد انعكاس للمادة وحركاتها أى هو معطى ثان ، والفكر لذلك ليس الا ثمرة مادة ادركت فى تطورها « درجة عالية من الكمال » .

**ثالثا :** ان معرفة العالم الطبيعية والكون والحياة ، ومعرفة قوانينها التى تحكمه شىء ممكن ، وان التجربة والتطبيق قد برهنا عمليا على معرفتهما بكثير من هذه القوانين واكدا انه

ليس هناك شيء لا تمكن معرفته اطلاقا وان كان هناك بالفعل أمور واشياء لم تعرف بعد ، ولكنها ستكشف وتعرف بوسائل التجربة والتطبيق العملي ، ومواصلة البحث العلمي ، هذا على عكس النزعات المثالية «اللا ادارية — او الاسمية — أو المثالية الذاتية » التي لا تقول بامكانية معرفة العالم وقوانينه ، ولا تؤمن بقيمة معارفنا ولا بحقيقتها الموضوعية .



# أسس علمية ثلاثة لتفسيرات أي مجتمع وتحليله وفهم صراعه وتناقضاته

ومن خلال هذه النظرية الفلسفية المتكاملة عن الطبيعة والكون والمجتمع ، نتمكن من أن نفسر الكون والحياة والمجتمعات الانسانية ونفهمها فهما يرتكز على حقائقها الموضوعية ، وأصولها المادية الصميمة .

وعند دراستها لتطور اى مجتمع وتاريخه واحداثه ، يجب انطلاقا من هذا ان نرتكز فى دراستنا وتحليلنا له على الاسس والمسلمات العلمية الثلاثة التالية :

**الاول** : ان محرك التاريخ والاحداث وصانعها **ليس هو الافراد اى الملوك والامراء ، والحكام وحدهم** وانما الذى يخلق ظروف الاحداث والتاريخى لاى مجتمع ، ويحدد نوعيته وكيفية وكمية

تطورها ، **هو نوع العلاقات العامة للانتاج الاقتصادى الذى يسود هذا المجتمع** ، ان هذه العلاقات هى التى ترفع فئة قليلة من كبار الاقطاعيين والرأسماليين وتضعهم على راس المجتمع وتمكن فى ايديهم السلطة السياسية التى تأتى تأكيدا وحماية لسلطتهم الاقتصادية ويتجلى هذا فى المغرب على طول حقبه التاريخية ، حيث كان الملوك يمثلون الاقطاع السياسى الذى يعبر عن الاقطاعية الزراعية ويحمى مصالحها ونفوذها لابقاء الجماهير الشعبية السادجة دائما فى تبعية للاقطاع ، ومجرد « نائبة » للخدمة والاستغلال .

**الثانى** : ان مجموع الافكار والمعتقدات الروحية التى تسود مجتمعا ما ومثل ذلك بالتالى الانظمة السياسية (الدولة ، نظامها ، تركيبها ، اجهزتها ، عقليتها مسلماتها — الاسس الفكرية والسياسية والروحية التى تقوم عليها — ) .

ان جميع هذه المسائل **ليست الا انعكاسا للواقع السائد لهذا المجتمع اى لنوع العلاقات والمناهج الاقتصادية التى تسوده** ، اى ان مستوى تصوره فى العلاقات الاقتصادية التى تكون بين افراده ينعكس مباشرة فى جميع بناءاته العوقبة التى هى الافكار والمعتقدات والمفاهيم والدولة والعادات والتقاليد والاخلاق العامة وغير ذلك .

مثلا : المجتمع المغربى الذى لا يزال تسود فيه الزراعة البدائية وتحكمه الاقطاعية الزراعية والى جنبها الاقطاعية السياسية — لابد ان دولة تقوم او تريد ان تقوم على نظرية (الحق الالهى) واعتبارا منها تستمد السلطة من السماء ، لابن الشعب ، هذا الى سيادة عقلية خرافية فى الاوساط الشعبية ، على العموم تؤمن



بالشعوذة والطلاسيم وتتمسح بالاضرحة والقبور والاحجار وخلفها اعقبه او مرحلة غير منها وخلفها الانسان منذ آلاف السنين .

لكى نفهم اى مجتمع اذن ونفهم اوضاعه وحقائقه ، ونقوم افكاره وتطوره ودوله وانظمته يجب ان نبحث عن ظروفه واوضاعه الاقتصادية السائدة وعن واقعه المادى الكامل .

**الثالث** : اذا عرفنا من المنهج الجدلى ان المجتمع الانسانى بدوره يخضع لقانون التناقضات الداخلية ، فان هذه التناقضات الداخلية فى المجتمعات الانسانية لابد انها تأخذ فى اى مجتمع شكل **صراع** بين فئتين اجتماعيتين تتعارض مصالحهما ، لان احداهما تستغل الاخرى ، لانها تستولى على وسائل الانتاج وعلى المصالح الاقتصادية الكبرى ، وبواسطتها تستولى ايضا على السلطة السياسية اى الدولة بعد ان استولت على السلطة الاقتصادية ، وعلى منافذ الثروة والاموال فى المجتمع . وهذا ما سمى بـ « **صراع الطبقات** » او « **الصراع الطبقى** » **بين الفئات الاجتماعية المتناقضة** — احداهما مستغلة ظالمة مسيطرة قوية بسلطة الاقتصاد وسلطة الدولة ، والاخرى مستغلة مظلومة مضطهدة محرومة من كل شىء .

**فى المغرب** : يدور الآن صراع طبقى واضح المعالم بين فئتين متناقضتين احداهما فئة قليلة نحو نصف مليون نسمة تأخذ بيدها الاقطاعين : الاقتصادى والسياسى ، وتتمثل فى الحكم وكبار الموظفين والمحظوظين وفئة من البورجوازيين اصدقاء الحكم واعوانه ، تستغل هذه الفئة كل شىء فى هذه البلاد بتحالف تام مع المصالح الاستعمارية والامبريالية وتقف من الجبهة المقابلة جماهير العمال والفلاحين وصغار التجار والحرفيين « 12 مليون نسمة » مظلومة مستغلة مهضومة المصالح عليها ان تخدم وتنتج لصالح الفئة المحظوظة لا غير .

ان المجتمع المغربي اذن يحمل تناقضات كبرى ينميها الصراع الطبقي ، والنضال التحرري الثوري الذي يقوده الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لتوعية هذه الجماهير على ضوء مفاهيم علمية واضحة ثم تسيسها ورفع مستواها النضالي ثم تفجير هذه التناقضات في النهاية ، وتحقيق الثورة الاشتراكية بين الجماهير وبمساهمتها وبقيادة طليعتها الواعية المناضلة .

**...وأجمالا :** فهذه المقاييس الثلاثة ، وعلى أساس (الجدلية العلمية « الديالكتيك » ) كما توضحت فيما سبق ، يمكن أن تتكامل في اذهاننا فلسفة علمية ومقاييس فكرية واضحة ، وقواعد نظرية كاملة نستطيع بواسطتها أن نفهم العالم ونحلل المجتمعات ونرى بوضوح الدوافع والقوانين الحقيقية التي تحرك هذه المجتمعات ، وتصوغ الاحداث ، وتصنع التاريخ وتفسره وتمليه .

(إننا) وبفهمنا العلمي للاشياء والاحداث نتمكن من **أن نرفع مستوى وعينا السياسي ونضجنا الفكري ، ونقوي روح النضالية والوعي الثوري الصادق في نفوسنا ، ونفوس جميع المناضلين الاتحاديين ،** وبالتالي نضع خطط هذا النضال ونحكم أسبابه ونضبط دوافعه على ضوء من واقع مجتمعنا وعلى هدى من الطبيعة العميقة والموضوعية للمعركة التي تدور في هذا المجتمع والتي على حزبنا الطلائعي « الاتحاد الوطني للقوات الشعبية » ان يفتح أمامها آفاق التبلور والتكامل ويوفر عوامل النمو والتركيز ، لتتكامل الطاقات الثورية الكامنة في صدر الجماهير الشعبية الكادحة ، وتنفجر من صدر الاقطاعية والبورجوازية والاستعمار .

مطبعة دار النشر المغربية ـ الدار البيضاء
5 ـ 13 زنقة الجندى روش